رحلة البقاء
لؤلؤة الشريف "لؤلؤة الكون"
دار أحرفنا المنيرة

رواية : "رحلة البقاء"

تأليف: لؤلؤة الشريف "لؤلؤة الكون".
تنسيق: شرف الدين الشريف.
نشر: دار أحرفنا المنيرة.

"المقدمة"

أنا فتاة جامعية، أحمل الأدب في قلبي!
لم يتبقَ لي سوى خمسة أشهر حتى أصبح عشرينية، عشرون عامًا وأنا أجمع شتات نفسي، في كل سنة أجمع وردة، وها قد أصبح لدي عشرون وردة وسأجعلها باقة ورد في أيامي القادمة!
سأعتني بها وأسقيها بالحب والحنان كي لا تذبل، وإن ذبلت وسقطت، ستأتي السنة الثانية بوردة جديدة!

في ابتسامتها حياة،
وفي عينيها جمال
لا يشبهه شيء ولا تشبه أحدًا.

- أن تواجه الحياة واختباراتها هو إنجاز لا يستطيع الجميع فعله، لكنكِ فعلتيها، ولهذا أنتِ مميزة. فيكِ بحار لا يقدر أحد الوقوف على شاطئها، فكيف بالغوص في أعماقها. أنتِ جمال الكون.
فعلتها وإن لم أفعلها، الأهم أن أكون بخير.

في قرية النار تشرق الأماني،
وتغيب الشمس خلف أفق الأحزانِ.

تسير الفتاة في دروب الحياةِ،
بين الأمل والدموع في الظلام.

تحت ضوء القمر تهمس الأحلامِ،
وتروي للنجوم قصص الأيامِ.

في عينيها بحر من الجمالِ،
وفي قلبها تتوارى شجاعة الأبطالِ.

تعيش بين الشوك والورد الجميلِ،
تحارب الظروف بقلب نبيل.

وفي صوتها يعلو صوت الأملِ،
تواجه الحياة رغم كل الألمِ.

فيا زهرة الربيع بين الصخورِ،
كُوني للنور دائمًا، ولا تذوبِ.

"الفصل الأول"

كنت في التاسعة من عمري، طفلة لا تعي معنى الحب أو الإعجاب. لطالما كنت الفتاة الوحيدة التي أتت إلى هذا المنزل بعد طول انتظار. أعيش في قرية تسمى: "قرية النار"، وكان الاسم حقًا يعبر عن حالها. لا أعلم سبب تسميتها ولم أسأل، فأنا لست من النوع الذي يكثر من الأسئلة،

"قرية النار": هي ليست بتلك الكبيرة، بيوتها مبنية من الحجارة والتراب، ليست جميلة ولكننا نتعايش معها ببساطتنا. كنا سنعيش بسلام لولا أولئك المتوحشين. قرية النار مكونة من ست عوائل، في كل عائلة عائلة صغيرة، عدا عائلتي التي تضم العائلة في بيت واحد ، لأن جميع أقاربنا قد رحلوا. بعد رحيل كل من فيه الخير، مات الجميع وبقي الأشرار، عدا نحن، الأسرة الملتزمة بشكل كبير.

تربيت بين الصبيان، وكانت أغلب تصرفاتي تشبه تصرفاتهم.
-الأم (ياسمين): امرأة جميلة، حنونة وطيبة جدًا، تحب أولادها بشدة لكنها عصبية في بعض الأوقات. كانت أمي تصرخ في وجهي قائلة: "أنتِ فتاة، لا تفعلي هذا أو ذاك"، رغم أن إخوتي كانوا يقومون بأعمال المنزل.

-الأخ الأكبر (عمر): شخص غيور لكنه طيب القلب. ينسى ويسامح بسرعة. كان أخي الأكبر غيورًا عليّ كثيرًا، لا يدعني أذهب إلى أي مكان بدون حجابي. لا أنكر أنني كنت مدللة جدًا، فأنا الفتاة الوحيدة في هذه العائلة والجميع سعيد لسعادتي.

-الأب (عبدالله): رجل ناجح ومثقف إلى حد كبير، ملتزم بقيمه ويحب الخير للجميع ويساعد الجميع دون تردد. أحيانًا يكون حنونًا واجتماعيًا، وهو شخصية معروفة ومحترمة في القرية.

-الأخ الثاني (محمد): عصبي جدًا وكل شيء يجب أن يكون على مزاجه، لكن أخلاقه تغلب عصبيته.

- الأخ الثالث (خالد): شخص لطيف ومرح، هو الأجمل بين إخوته، لكن عناده قد يقتله.

- بطلة الرواية (ليان): فتاة بسيطة تحمل في قلبها الكثير من الأحلام. الجميع يحبها لأنها الفتاة الوحيدة في العائلة. تكتم الكثير في قلبها وتتحمل أكثر من طاقتها. يخنقها الاهتمام الزائد لكنها لا تظهر مشاعرها.

-المظهر: فتاة ذات ملامح رقيقة وجميلة، بشرتها ناعمة وتحمل لون الشمس الدافئ. عيناها البنيتان العميقتان تعكسان أحلامها وطموحها. شعرها الأسود الطويل يتدلى على كتفيها بطريقة طبيعية تضفي عليها سحرًا خاصًا.

- الهوايات: تحب القراءة والكتابة، وتجد في الأدب متنفسًا لأفكارها ومشاعرها. تعشق الطبيعة والتنزه في المناطق الريفية حيث تشعر بالسلام الداخلي.

- الصراعات الداخلية: تواجه ليان صراعات داخلية بين رغبتها في تحقيق أحلامها وبين القيود التي تفرضها الظروف المحيطة بها. تكافح بين التمسك بطموحاتها وتوقعات المجتمع والأسرة منها.

- الأخت الصغرى (مايا): فتاة جميلة وبريئة، أضافت السعادة إلى العائلة عندما أتت بعد أربع سنوات.

- آخر العنقود (ريان): الفتى الجميل الذي يحبه الجميع، طلباته أوامر وكلامه كالعسل.

كنت في الصف الثالث ومستواي الدراسي عالٍ جدًا منذ البداية، وكنت الأولى بفضل اهتمام والدي وإخوتي بي. في تلك الفترة، كنت كتومة لا أفشي ما في قلبي لأحد ولا أدع أحدًا يعلم ما بي، كنت فقط أستمع لصديقاتي. كانت هناك دائمًا مشاكل مع صديقاتي في هذه القرية، "قرية النار". نفترق ونشتعل مثل النار لمدة شهر أو شهرين، ثم تنطفئ تلك النار وتبقى بهذا الحال أيضًا شهرين أو شهر. تمضي أيامنا على هذا الحال، ليس لأننا لا نحب بعضنا، لكن الذين يعيشون معنا في "قرية النار" لا يدعوننا نعيش بسلام.

صحيح أنني مرة تعاركت مع صديقتي وذهبت إلى صديقتي الأخرى، وإذا تعاركت مع هذه أذهب إلى تلك، وهكذا. السبب كان مشاكل أهلنا، لم نسلم من حروب البلاد حتى نصاب بحروب الأهل. إلى أن أصبحت في الخامسة عشرة من عمري، في بداية الترم الأول للصف الأول الثانوي، زاد وعيي وتعلقي بصديقاتي، لكن قاعدتي ما زالت كما هي، لا أفصح عما بي مهما تعلقت وأحببت.

أصبنا بالبرود في "قرية النار" لكثرة مشاكلها وانتشار الحرب وقربها منا. إلى أين علينا الرحيل؟ اشتدت الأزمة علينا وأصبح والدي غير قادر على تلبية احتياجاتنا. كنا العائلة التي يستمد منها الجميع القوة، لكن من أشعل نار الحرب لم يستطع إخمادها. سبع سنوات من الحروب ولم نحصد سوى الدمار والخراب والجثث التي احترقت بنار الحرب. كيف لمسلم أن يقتل مسلمًا؟ لم أجد لهذا تفسيرًا!!

لطالما كنت أحلم أنني أنا من سيخمد الحرب وينهي هذا الحصار، لم أخبر أحدًا بهذا. كنت أؤمن بنفسي وذاتي، كانت مخيلتي واسعة جدًا، أهرب من واقعي إليها. لكن والدي لم يستسلم، كان مثابرًا وقويًا، كنت أتمنى أن أصبح مثله. وعندما أنهى أخي الأكبر عمر جامعته، لم يجد في بلادنا وظيفة تناسب ما درس، فقرر أن يذهب إلى الغربة. ليس من السهل أن يغادر أحد من عائلتنا، ونحن معًا دائمًا، أن يترك أهله وزوجته وأولاده، لكن من الضروري أن تضحي لتعيش بعزة وكرامة.

في قرية مثل قريتنا الصغيرة، لا أحب شيئًا فيها سوى عائلتي. من أحبهم قد غادروا، لكن الحياة لم تكتفِ منا، عليها أن تفرقنا. لماذا نحن؟ لا نملك سوى بعضنا البعض، وتريدين أخذ واحد تلو الآخر!
بعد فترة قصيرة، ذهب أخي محمد أيضًا إلى الغربة. أصبحت نفسيتي لا تطاق، لا أحد يفهمني، أصبحت متمردة. أسعد لأخوتي على مغادرتهم "قرية النار"، أنا لا أشبه هذا المكان ولا يناسبني.

اقترب القصف، الجميع خائف، أنا لا. كنت أريد أن يسقط صاروخ يحرق "قرية النار" ويمحي من فيها، حتى وإن كنت أنا وعائلتي فيها. لم يتبقَ سوى شقيقي خالد الذي أصبح يدرس في الجامعة، وشقيقتي مايا الأصغر مني، وشقيقي ريان الأصغر، ووالداي فقط.

"الفصل الثاني"

في هذه الليلة، ثاني ليالي السنة الجديدة، شهر يناير في قرية النار، حيث لا أرى القمر أو النجوم. كل ما يحيط بي هو الضباب الكثيف والظلام الدامس والبرد القارس. الجميع يشعرون بالبرد ويرتعشون منه، أما أنا فأشعر بنار تحرق جسدي من الداخل. لا شيء يطفئها، عيناي تمطر ماءً يغلي بدل الثلوج، وقلبي يعتصر ألمًا. غدًا تنتظرني الكثير من الواجبات التي يجب عليّ حلها. يجب علي التركيز في دراستي، فلم يتبقَ سوى سنتين وسأغادر هذه القرية المشؤومة. عائلتي قد غطت في سبات النوم منذ الساعة التاسعة، وأنا ما زلت أحترق وحيدة. إثر مشاهدتي لمسلسل: "صلاح الدين"، بكيت وصرخاتي الصامتة قتلتني. هربت إلى غرفتي لألا يراني والداي، فكيف لابنتهم أن تبكي؟ ليان تبكي؟ هذا مستحيل. أغلقت باب غرفتي بإحكام، واستسلمت لأفكاري المتزاحمة حتى غلبني النوم.

استيقظت على رنين هاتفي، وكأنني كنت أحلم بالقتل. كنت في الحرب، أقاتل وأصبت برصاصة، لكنني نجوت منها. عندما سمعت رنين هاتفي، نزلت دمعتي بحرقة لكنها كانت باردة وكأنها قطعة ثلج. قمت من سريري بكسل، وبرودة الغرفة تلسع جسدي. توضأت على عجل، وكان والدي قد سبقني وكان جالسًا يقرأ القرآن. شعرت ببعض الطمأنينة. سيكون يومًا جميلًا بالتأكيد. بعد صلاتي للوتر، دعوت بكل قلب ودموع حتى اطمأنت نفسي. صلينا صلاة الفجر مع والداي وإخوتي. كان يومًا جميلًا من بدايته، فحمدت الله كثيرًا. ذهبت إلى المدرسة وكان هناك امتحان إنجليزي مفاجئ. الجميع توتر إلا أنا، لم يكن من عادتي. سألتني زميلتي: "ما بكِ؟ يا لكِ من غريبة ومزاجية".

لم أرد عليها، فقط صمتّ وابتسمت. كان الامتحان سهلاً لي، أما بقية زملائي فكانوا يتذمرون.

عدت إلى المنزل وحيدة كعادتي، دخلت وقلت: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته". ردت أمي: "أهلاً، وعليكم السلام". قال أبي: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هلا والله، كيفك؟". أجبت: "بخير الحمد لله". طلبت مني أمي: "هيه، بعد أن ترتاحي قليلاً، اذهبي وساعديني في المطبخ". أجبتها: "حاضر". بعد أن انتهينا من تحضير الغداء، سألتها: "أمي، هل أقرب الغداء؟". أجابت: "لا، انتظري حتى يكمل والدك صلاة الظهر". قلت: "حاضر أمي".

كنت أشعر بشيء غريب، رغبة في البكاء لا أفهم سببها. بعد انتهاء والدي من الصلاة، ذهبت لتقريب الغداء. لم أستطع تناول الكثير منه، فنهضت من مائدة الطعام. سألني والدي بقلق: "ما بكِ؟ هل أنتِ مريضة؟". أجبت: "لا، شبعت الحمد لله". بعدها، اهتزت الأرض بصوت قوي. خفنا جميعًا، وبدأ أخي ريان يبكي من الخوف، بينما كانت أمي تدعو على المعتدين. أما أنا، فكنت في حالة من البرود، وأفكاري تمتلئ بمخيلات قتالية. أخبرت أخي خالد أنني سأقتل كل من يقترب منا، فضحك كثيرًا وقال: "نعم، أنا أعلم أنكِ ستقتلينهم جميعًا، وأنا لهذا مطمئن". وابتسم وخرج. كان صوت الدبابات مزعجًا، لا يسمح لنا بالهدوء ليلاً، وظلت أفكاري مشغولة بتلك الأحلام المضحكة.

في اليوم التالي، سمعنا أن مدرسة في القرية المجاورة قد تعرضت للقصف، وتم إغلاق مدرستنا كإجراء احترازي. سعد الجميع إلا أنا. كنت قد بنيت أحلامي على دراستي، ماذا سيحدث الآن؟
أخبرتنا أمي: "إذا اشتدت الحرب، سنغادر إلى العاصمة صنعاء".
لم أتمالك نفسي وقلت: "حقًا؟ أتمنى أن تقترب الحرب الليلة".

نظرت إليّ أمي بحدة وقالت: "ماذا تقولين؟ اصمتي!". حزنت وبكيت بصمت. كان والداي يتحدثان مع إخوتي المغتربين عن الوضع، ولم يسأل أحد منهم عني. شعرت بالحزن، هل نسيني إخوتي؟

وفي يوم، نشب خلاف بيننا وبين أهل قرية النار، حيث قاموا بإحراق زرعنا واعترفوا بذلك. مرض والدي كثيرًا إثر هذا الخلاف. اتصلت أمي بأخي خالد، الذي كان في مدينة زبيد التي تبعد عنا خمس ساعات، وطلبت منه أن يجد لنا بيتًا هناك. بعد أسبوع، وجد لنا بيتًا وتحسنت صحة والدي. قررنا نقل كل شيء من بيتنا في قرية النار إلى مدينة زبيد. لم أصدق ما حدث، أحقًا تحقق ما تمنيته؟ سأغادر هذه القرية أخيرًا.

شعرت بالحزن لفراق صديقاتي، لكنني كنت أتوق للرحيل. صعدت إلى سيارة والدي، وودعت القرية بنظرة أخيرة. كل من في القرية كانوا سعداء بمغادرتنا، لكنني كنت أسعد منهم جميعًا لأنني لن أرى تلك الوجوه البشعة المقرفة بعد الآن. بكت دموعي لفراق صديقاتي ولا أعلم ماذا يبكيني لهذه الدرجة. كانا يتحادثان كثيرًا في السيارة، وأنا أنزعج من هذا. كنت صامتة ورأسي على نافذة السيارة، أتأمل الطريق، حتى غفوت ودخلت إلى أحلامي، حيث كنت أحارب وأرمي بالرصاص الأعداء. كانت رصاصة على وشك أن تصيبني، وكالعادة، أخي ريان يقول: "ليان، هي، انهضي، لقد وصلنا". استيقظت وأنا أبتسم. نقلنا كل الأغراض إلى البيت الجديد. كان البيت لا بأس به، وبالمقارنة ببيت قرية النار، فهذا البيت يفوز. بعد أسبوع، استقرينا في هذه المدينة، وأصبحت لدي بداية جديدة.

"الفصل الثالث"

"كل شيء يصبح جميلًا عندما تبتسمين."

في صباح جميل، استيقظت كما تعودت قبل صلاة الفجر. كان الجو باردًا لكن ليس كبرود قرية النار، وقد سبقني والدي وبدأ في قراءة القرآن. ذهبت لأتوضأ بسرعة البرق لكي لا يخطفني البرد فأصاب بالمرض.

بعد أن تناولنا الطعام، أخذنا أبي إلى المدرسة ليتم تسجيلنا ونبدأ من جديد. لم تكن المدرسة قريبة، لهذا أوصلنا أبي بسيارته. .
كانت المدرسة للفتيات فقط. عند دخولي شعرت بشيء من السعادة والخوف. أمسك أبي بيد أختي مايا وذهبنا إلى المديرة.

والدي: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته."
المديرة: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلًا."
والدي: "كيف حالكِ يا مديرة؟"
المديرة: "الحمد لله بخير، أنتَ كيفك؟"
والدي: "الحمد لله."

كنا جالستين أنا ومايا نستمع لحديث والدي والمديرة بعد أن ألقينا التحية، وكنا هادئات جدًا. كانت المديرة تمدح هدوءنا وتثني علينا.

المديرة: "كيف زبيد معكم؟ إن شاء الله ارتحتوا."
والدي: "نعم، الحمد لله. حضرت اليوم لأُسجل ابنتي عندكِ.
أعلم أننا في آخر السنة، لكن..."

لم يكمل والدي الكلام حتى قالت المديرة: "لا عليك يا أستاذ عبد الله، سأقبلهم وسيتم اختبارهم. أنا أعلم بحالتكم وسأساعدكم بالتأكيد."
والدي: "أشكرك حقًا، لن أنسى لكِ هذا."

تم تسجيلنا وسنبدأ الدوام من الغد. كنت سعيدة جدًا. كانت المدرسة كبيرة وجميلة ومرتبة، شعرت بالاطمئنان وأخذت نفسًا عميقًا. عند عودتنا إلى المنزل، ذهبنا لأخذ زي مدرسي.

وصلنا منزلنا. كان يومًا جميلًا وقد خططت لكل شيء سأفعله: أذهب إلى سريري وأستلقي وأطلق لمخيلتي العنان بالأفكار.
صحيح أننا لم نتعايش مع الأجواء بعد، فنحن لسنا متعودين على المدينة وصعب علينا التكيف معها، لكننا تعايشنا. استمررنا أسبوعًا في هذه المدينة وكنا نداوم بجد واجتهاد. لم أفعل شيئًا سوى المذاكرة. الجميع خرج وبقيت أنا وحيدة في البيت. ليس سيئًا، بل أرى ذلك جميلًا جدًا.

لم أتقرب من أحدٍ من زميلاتي أو أصادقهن، أصبحت انطوائية لكنني أناقش معلماتي وكنت المتفوقة.

لم نكمل سوى شهر واحد حتى تلقى والدي اتصالًا يخبره أن...

"مرحبًا يا عبد الله، كيف حالك؟ أخبارك؟"
والدي: "مرحبًا، الحمد لله، تمام. أنتَ كيف حالك؟ وكيف وضع القرية؟"
"الحمد لله، يا عبد الله، لم تعد الحرب قريبة منا، لقد رحلوا."

والدي: "حقًا؟ هذا خبر جميل، الحمد لله."
"يا عبد الله، هل ستعود؟"
والدي: "لا أعلم، سأفكر."
"لا تفكر! إن لم تعد، فأهل القرية سيهدمون البيت. لقد سمعتهم يقولون هذا اليوم، وأنت تعلم ماذا سيفعلون. فلترجع، لقد عاد كل شيء كما كان، وإلا لا أعلم ما قد يحدث."
والدي: "لا عليك، شكرًا لك لإخباري بهذا الأمر. إلى اللقاء."
"حسنًا، إلى اللقاء."

كنت أسمع حديثهم وقلبي يتقطع. مستحيل أن نرجع، هذا غير ممكن، لن أرجع إلى القرية المشؤومة، لا... ماذا علي فعله؟ لا شيء، فنحن استقرينا هنا ولن يحدث شيء. وإن رجعوا، فأنا لن أرجع وسأبقى هنا وحدي.

في اليوم التالي قرر والدي العودة إلى قرية النار.

أخبرت أبي أنني لن أعود معهم وسأظل هنا مع أخي الذي يدرس هنا، لكن رد أبي كان قاسيًا ولم يسمح لي بالبقاء. قال لي: "هيّا أسرعي وساعديهم في ضبط الأغراض." لم أستطع فعل شيء.

كان جيراننا حزينين لمغادرتنا ولم يسمحوا لنا بالرحيل، لكن والدي لا أعلم ماذا أخبرهم فرحلوا بصمت. انتهينا من كل شيء والآن علينا الرحيل من هنا. لم أكن أحب هذا المكان، ولكن كان أهون من قرية النار.

لم يتبقَّ إلا مسافة 2 كم وسنكون في قرية النار. ها نحن ندخل بوابة النار، لم يتغير شيء، كما هي وكأنني لم أغادرها. كان الجميع ينظر إلينا ويحيّي والدي ويرحب به. وصلنا إلى منزلنا، هو الوحيد الذي لم يكن كما هو. لقد حاولوا حرقه. كان والدي معه حق، إن لم نأتِ كان سيتم سحقه.

أنزلنا حاجاتنا ودخلنا المنزل وكأنه مهجور من مئات السنين. استغرق تنظيفه أسبوعًا، لم يساعدنا أحد. هذا أحسن، فأنا مرتاحة لأنني لم أرَ أحدًا من تلك الوجوه البشعة.

والدتي: "ليان، تعالي سريعًا."
ليان: "حاضر أمي، ماذا تريدين؟"
والدتي: "ما هذا؟ ألم أخبرك أن تُخرجي هذه القمامة إلى المزبلة؟"
ليان: "لماذا أنا؟ دعي أخي."
والدتي: "هيّا أسرعي، اذهبي دون نقاش."
ليان: "حسنًا."

لماذا عليَّ أن أخرج؟ والآن سأرى ذلك الحقير. خرجت ولم يكن أحد هناك. هذا جميل.

(سعيد): "أوه، لماذا أنتِ مستعجلة؟ هل ستأكلك الوحوش؟"
ليان: "ما هذا؟ لقد أخفتني! يا لك من حقير."

سعيد: "لن أرد عليكِ، فالمدينة جعلتكِ تتكلمين هكذا، لكن مع الوقت ستعودين كما كنتِ."
ليان: "اغرب عن وجهي، فلتذهب إلى الجحيم."

أسرعت السير إلى المنزل.

مايا: "ما بكِ ليان؟ هل أنتِ بخير؟ من رأيتي؟"
ليان: "لا شيء، هيا هيا."

"الفصل الرابع"

هي قوية رغم رقتها"

أكملنا حياتنا واستقرارنا كالسابق، وبعد مرور ستة أشهر مع أحداثها العادية والروتينية، عدنا إلى المدرسة. لم تكن المدرسة بعيدة، فقط تفصل بيننا قريتين. في أول يوم لي في المدرسة، ذهبنا أنا وشقيقتي مايا. كنا نسير في الطريق حتى التقينا بزميلة لي، أتت مسرعة تلقي السلام علي وتسألني عن حالي. أجبتها ببرودة، ليس كرهًا وإنما لا أريد أن أتعلق بأحد. كان الطريق مشمسًا غير العادة، والأرض قاحلة تعمها الجفاف، كنا نعاني من عدم توفر الماء.

وصلنا المدرسة وهي تسأل كثيرًا وما زلت أجيبها ببرود. وعندما وصلنا، كان الطابور الصباحي قد انتهى. ذهبت مسرعة لأوصل مايا إلى فصلها، وبعد أن جلست في كرسيها، ذهبت أركض إلى فصلي. وأنا أصعد الدرج، التقيت بالأستاذ، فأسرعت للوصول قبله. وقد كان سيتحدث معي عندما أسرعت ودخلت، لم أترك له فرصة. كان الفصل ممتلئًا بالأولاد والقليل من البنات، وعندما وصلت عند مقاعد البنات، نادتني فاطمة، هي نفسها التي التقيت بها في الطريق، ذهبت وجلست عندها.

دخل الأستاذ وبدأ بشرح الدرس، وكان درس الأحياء. وأنا لا أفهم الأحياء، تضايقت واختنقت من نقابي، وقد كان الجو حارًا. وعند مغادرة الأستاذ، ارتحت قليلاً، لكن لم تدم راحتي لأنني تلقيت تحقيقًا من زميلاتي. بعد نقاشات كثيرة، وبعد انتهاء جميع الحصص، كانت مايا تنتظرني وعدنا إلى البيت. مرت الأيام بنفس الروتين، وبعدها أتت الاختبارات، اجتهدت كثيرًا لأحصل على علامات عالية، لأنني بعد تخرجي سألتحق بالجامعة.

في الساعة ٥:٥٧ مساءً، الثلاثاء ٥ ديسمبر، وأنا أشاهد الأخبار حول فلسطين، شاهدت الدمار والقتل والدماء. شيء مؤسف جدًا! ما لفت انتباهي هو القسام وأبو عبيدة، كيف كانوا متماسكين رغم كل ما حدث لهم، لم يغير ذلك شيئًا من قوتهم وثقتهم الكبيرة بالله. ونحن بمجرد نكسة صغيرة كأن الحياة توقفت. أعلم أن تموت وأن لا أحد يريدك...

وأنا أول مثال لهذا. يعني كل ما يحصل في حياتك لا شيء يذكر مع معاناة فلسطين. على شيء تافه تبكي؟ ما هو الحب؟ ألا ترى القسام كيف يحب فلسطين وكيف يدافع ويحارب ويضحي؟ هذا هو الحب برأيي.
بعد أن انتهيت من مشاهدة التلفاز، ذهبت لصلاة المغرب وأنا أفكر وأفكر، وتوصلت إلى قرار سأخبركم به:
لقد توقفت عن الكتابة منذ زمن بعيد، والآن أريد أن أكتب كل تفاصيل حياتي وأن أكون كاتبة. حلم من أحلامي الباقية!

ومن بداية الليلة، جربت تمارين خفيفة على أمل أن أكون قوية وأذهب إلى فلسطين وأحارب لكن تعبت من أول تمرين! لا، لن أستسلم، سأداوم كل يوم على أمل أن يأتي ذلك اليوم الذي أقاتل معهم، سأتمرن واستعين بأشخاص معي من أجل التشويق والحماس.

في أول تمرين لي، مر عليه نصف ساعة ويداي معضلتان وتؤلماني، لكن سأعتاد إن شاء الله.

حان وقت العشاء، والغرفة امتلأت بصراخ الصغار والمشاجرات، ولكن هذا رائع جدًا، تشعر بالحياة!
بعد الانتهاء، ذهبت لغرفة أخي الصغير، نعم، لديه غرفة وهي صغيرة جدًا! ذهبتُ لأجل الهدوء وكتبت براحة بدون تشويش.
بدأت صلاة العشاء ورجعت، ولكن لم تعد هادئة، فكل الصغار في عائلتي تجمعوا فيها. سأخرج منها الآن وأتفرج على مسلسل.

رجعت بعد أن فتحت الإنترنت وشاهدت الواتساب، وقرأت جمل جميلة جعلتني مرتاحة جدًا، لكن شخص جعلني أدرك معنى الصداقة الحقيقية!
نعم، لقد كنت أجهله تمامًا، ولكني الآن أصبحت لا أبالي به، أو لأنه ليس لديه أصدقاء ليهتم بي لهذه الدرجة! لكن أشعر بنقص.
سأنام وأنا مرتاحة البال، سأغفو إلى النوم وأتمنى أن أرى في أحلامي ما أريد أن أراه.
أستيقظ على صباح وفيه يتغير كل شيء إلى الأفضل!

كان اختبار آخر السنة، وقد كانت حالتي النفسية مرهقة من كثرة الجهد الذي بذلته! لكن عندما رأيت نتيجتي، نسيت التعب وما مررت به.
مرت الأيام والأسابيع والشهور في الإجازة سريعًا، وكان حلمي يكبر معي يومًا بعد يوم، ولم يتبق سوى خطوة واحدة لتحقيقه!
بداية جديدة في آخر سنة لي في هذه القرية، قرية النار.

بدأت السنة الأخيرة لي في هذه المرحلة وكأنها صفحة جديدة في كتاب حياتي، كانت مليئة بالحب والشغف والعزيمة! كنت أعلم أن هذه المرحلة الأخيرة ستحمل معها الكثير من التحديات والفرص، وقد كنت مصممة على أن أستغل كل لحظة فيها.

كان اختباري الوزاري يقترب بسرعة، وكنت متحمسة وأشعر بمزيج من الحماس والتوتر!
جهزت نفسي بتفانٍ كبير، أراجع دروسي وأحل التمارين وأضع خططًا محكمة لتحقيق النجاح. كنت أستيقظ باكرًا كل صباح، وأشعر بنشاط وحيوية لم أشعر بهما من قبل!
كانت كل لحظة أقضيها في الدراسة تزيد من عزيمتي وثقتي بنفسي.

كنت أحيانًا أجلس في زاوية غرفتي، وأحلم باليوم الذي سأجتاز فيه الاختبار بنجاح وأفتح صفحة جديدة في حياتي. كنت أرى نفسي وأنا أحقق أهدافي وأحلامي، وأشعر بالفخر بما حققته! كنت أعلم أن الطريق لن يكون سهلًا، ولكن الحب والشغف والعزيمة كانت تعينني على الاستمرار والمثابرة.

كانت هذه السنة الأخيرة بالنسبة لي، ليست مجرد مرحلة دراسية، بل كانت فترة تحول ونضج! كنت أتعلم ليس فقط من الكتب والدروس، بل أيضًا من تجاربي اليومية ومواقف الحياة التي كنت أواجهها. كنت أحاول أن أستمتع بكل لحظة، وأن أستمد القوة من كل تحدٍ أقابله.

"الفصل الخامس"

(أنا لا أهرب، وإنما أواجه! أضع عيني في عين جرحي وأتركه ينزف، دون أن يرف لي جفن! أنظر إلى الصورة ألف مرة، أتركها تجرحني ريثما تصبح عادية، أعيد قراءة المحادثة التي آذتني، وأتحسس وخزها في لحمي، أتركها توجعني إلى أن تصبح تافهة ولا تعنيني، ثم عندما أنتهي من كل هذا، أخرج برجلي اليمنى أردد: "غفرانك".)

هناك أحلام لا تتحقق إلا في الأحلام، وهناك أشخاص نلتقي بهم وآخرون لم نلتقِ بهم، ولكن أحببناهم بكل صدق وإخلاص. كان فرحي للمغادرة ينسيني حزني، كنت أفكر في نفسي وأرسم أحلامًا كثيرة، أريد أن أذهب إلى مكان بعيد جدًا، يكون فيه أنا فقط عند شجرة كبيرة ظلها يحميني، وأن أستلقي على ظهري وحولي الكثير من الزهور الجميلة والملونة! أشعر بالطبيعة وبكل ما يجول حولي، وأبقى إلى أن يظهر الظلام وأرى القمر والنجوم يلمعان بكل جمال! أتأمل فيهما حتى شروق الشمس، وأرى كيف تزيد كمال المكان بجمالها، لا أريد النهوض حتى يهطل المطر ويلامس بشرتي الناعمة، وأشعر بالراحة، وأبكي حتى تختفي دموعي مع قطرات المطر!

لن أنهض حتى ينزل الثلج ويملأ قلبي بياضًا وصفاءً ويغطيني! لأشعر وكأنني لم أمر بأي شيء في حياتي، وينسيني ما أنا عليه، لن أنهض وسأنتظر حتى تتساقط جميع أوراق الشجرة الكبيرة، وأرى جمالها وأنها حتى ولو لم توجد فيها أي ورقة لم تمت، فهي تقاوم حتى تزهر من جديد وكأنها لم تسقط أي ورقة. عندها أذهب إلى البحر وأستلقي على شاطئه، أنظر إليه وأحتضن البحر وأواسيه، أستلقي عليه دون أن أغرق وأشعر به.

شعور مزعج جدًا أن تكون في قمة السعادة وفي داخلك شيء قليل من الحزن يزورك على شكل خوف، تخاف أن السعادة وهمية صنعها لك الآخرون وأنت على دراية بهم! لكن شعور الفرحة ينسيك الحقيقة، وما الحقيقة إلا لحظات وتظهر! نحن على علم بأن بعد السعادة ضيق، تضحك ساعة وتبكي يومًا. هنا تتذكر هذه الكلمات وتحزن وتيأس، أصبحنا نخاف من السعادة لأننا نعلم ماذا بعدها، وننسى أن هذه هي الحياة.
الإنسان خلق في كبد وملازم أن يعيش بين هذا وذاك. بتفكيرك أنت من تصنع الخوف أو أي شعور.

بعد أن انتهيت من الاختبار الوزاري وتلقيت نتيجتي التي كانت جميلة بالنسبة لي، شعرت بفخر كبير وسعادة لا توصف! كانت تلك اللحظة تعني الكثير بالنسبة لي؛ لقد كانت ثمرة جهد طويل وسهر الليالي! ولكن الآن، ها قد حان وقت الانتقال إلى مرحلة جديدة في حياتي: الدراسة الجامعية.

ها هو لم يتبقى سوى أسبوع لسفري إلى مدينة زبيد، كنت أشعر بمزيج من المشاعر، بين الحماس والقلق! كانت الأيام تمر بسرعة، وكل لحظة كانت تعني لي الكثير.

جلست في غرفتي وأخذت أفكر في كل التفاصيل التي يجب أن أجهزها قبل الرحيل. كانت هذه الرحلة بداية جديدة، فرصة لاكتشاف نفسي واكتشاف مكان جديد يحمل في طياته الكثير من المغامرات والتجارب.

كلما اقترب موعد الرحيل، كنت أشعر بمزيج من الفخر والحزن! كانت العائلة تجمعني بحب، وكل لحظة قضيتها معهم كانت تملأ قلبي بالسعادة! ولكن، كنت أعلم أن هذا الرحيل هو خطوة مهمة نحو تحقيق أحلامي وأهدافي.

جلست مع أمي في المطبخ وهي تعد الطعام، وبدأت أتحدث معها عن ما ينتظرني في زبيد.

أنا: "أمي، أشعر ببعض القلق بشأن الرحيل. كيف سأواجه كل هذه التحديات بمفردي؟"

أمي ابتسمت وقالت: "يا عزيزتي، أنتِ قوية وشجاعة! لقد رأيت كيف تستطيعين تحقيق أي شيء تضعينه في ذهنك. ستكون زبيد بداية رائعة لكِ، وستكتشفين قوتكِ الحقيقية هناك. وأيضًا ستكونين مع شقيقك في المدينة وستذهبون إلى الجامعة سويًا."

أخذت كلمات أمي ترسخ في قلبي. كنت أعلم أن الدعم العائلي هو أهم شيء في حياتي، وأنني سأحملهم في قلبي أينما ذهبت! كنت متحمسة لاكتشاف زبيد بكل ما تحمله من تاريخ وثقافة، وللبدء في حياتي الجديدة هناك.

وفي الأيام التي تلت، كنت أعد حقائبي، وأجهز كل ما أحتاجه للرحلة. كانت كل قطعة ملابس وكل كتاب أضعه في حقيبتي يذكرني بماضيي ويحفزني لبداية مستقبل جديد.

كنت أجلس في الحافلة، وأشعر بمزيج من الحماس والتوتر. لا أعلم متى أصل إلى مدينة زبيد، لكنني متشوقة جدًا لبدء حياتي هناك. كانت هذه الرحلة بداية جديدة، صفحة جديدة في كتاب حياتي.

أثناء الرحلة، أخذت أفكر في كل الأشياء التي أود تحقيقها في زبيد. كنت أحلم بالحرية والاستقلالية، بأن أجد نفسي في هذه المدينة القديمة التي تحمل في طياتها الكثير من التاريخ والثقافة.
نظرت من نافذة الحافلة، ورأيت المناظر الطبيعية الخلابة تمر بجانبي، كانت تذكرني بأن الحياة مليئة بالفرص والتحديات.

أغلقت عيني للحظة، وأخذت أسترجع ذكرياتي مع العائلة والأصدقاء، كنت أعلم أنني سأفتقدهم، لكنني كنت مستعدة لهذه الخطوة. كانت مغامرة جديدة تنتظرني.
عندما وصلت الحافلة إلى وجهتها، شعرت بقشعريرة تسري في جسدي! نزلت من الحافلة، وأخذت نفسًا عميقًا، كانت زبيد أمامي، بروعتها وجمالها! شعرت بالحرية التي كنت أبحث عنها، وأدركت

أنني الآن في المكان الذي أريده، وأنني على وشك بدء فصل جديد في حياتي.

استجمعت شجاعتي وبدأت أخطو خطواتي الأولى في زبيد، متحمسة لكل ما ينتظرني. كانت هذه البداية، وكانت لدي الثقة بأنني سأحقق كل ما أطمح إليه.

خالد، شقيقي ، كان يدرس في جامعة زبيد. قرر أن يستقبلني هناك ويساعدني في التأقلم مع الحياة الجديدة.
عندما وصلت إلى زبيد، كان خالد في انتظاري في محطة الحافلات. أخذ معي الحقائب وساعدني في التجهيز للسكن في البيت الجديد.

خالد: "مرحبًا بكِ في زبيد! أنا سعيد جدًا بأنكِ هنا."

أنا: "شكرًا يا خالد، أنا متحمسة لبدء هذه الرحلة معك."

بدأنا حياتنا معًا في زبيد، كنا نعيش في نفس البيت ونذهب إلى الجامعة سويًا كل يوم. كنت أشعر بالأمان والراحة بوجود خالد بجانبي! كان يدعمني في كل خطوة، ويوجهني في حياتي الجامعية.

وفي أحد الأيام، اتصل والدي وأخبرنا بخبر سعيد!

أبي: "لقد قررنا أنا وأمكم السفر إلى السعودية لفترة. لهذا السبب، سنسكن جميعًا في زبيد بعد أن تستقروا أنتم وأخوتكم هنا."

كنت أنا وخالد ومايا وعائلة أخي الأكبر عمر، نستعد لاستقبال العائلة في زبيد. كنا نجهز البيت ونرتب كل شيء لاستقبالهم.

مايا: "كم هو رائع أن نعيش جميعًا معًا من جديد في زبيد. أشعر أن هذه ستكون بداية جديدة لنا جميعًا."

عندما استقرت العائلة بأكملها في زبيد، سافر أبي وأمي إلى السعودية. كانت هذه الخطوة بداية لفصل جديد في حياتنا.

"الفصل السادس"

بقدر فرحي أننا سنسكن جميعنا في زبيد، كنت حزينة لفراق أبي وأمي! بعد رحيلهم، تعبت كثيرًا، لم أظهر ضعفي، فقط دفنت ألمي داخلي وقلت: "أنا متعبة وتعب نهائي من كل شيء.
أريد أن أذهب فقط إلى أي مكان هادئ، أريد البكاء حتى تجف دموعي بدون أن يسألني أحد عن السبب. حنجرتي تتقطع من الكتمان! ليتني أنام وأنعم بالسلام وأن أفيق في مكان بعيد دون أي أحد."

بعد فترة قصيرة من رحيل والديّ، أو الأصح بعد شهر، بدأت أشعر بالتعب الشديد! كل شيء في نظري أصبح سيئًا.
كنت أفتقد وجودهما بجانبي، ذلك الشعور بالأمان والدفء الذي كانا يوفرانه لي، الأيام كانت تمر بصعوبة، وكنت أشعر بأن شيئًا ما ينقصني.

أصبحت أيامي مليئة بالحزن والجرح والمأساة. كنت أشعر بالوحدة والضياع! كلما حاولت التأقلم مع الوضع الجديد، كان الألم يزداد.

ذات يوم، كنت جالسة في غرفتي، أحاول أن أجد طاقة لمواصلة يومي، وفجأة طرق الباب ودخل شقيقي ، خالد.

خالد: "ليان، لاحظت أنكِ لستِ بخير. هل تريدين التحدث؟"

نظرت إليه بعينين مغرورقتين بالدموع، وأجبته بصوت متهدج:
"خالد، أنا أفتقد والديّ بشدة. أشعر بأنني عاجزة عن مواجهة الحياة بمفردي."

جلس خالد بجواري ووضع يده على كتفي بلطف: "ليان، أعلم أن الأمور صعبة. لكننا هنا لبعضنا البعض. أنتِ لستِ وحدكِ."

أنا: "كل شيء يبدو سيئًا! حتى الأشياء التي كانت تملأ قلبي بالسعادة أصبحت بلا معنى."

خالد: "أعلم أن الفراق مؤلم، لكننا سنتخطى هذا معًا. دعيني آخذكِ في نزهة، ربما يغير الهواء النقي مزاجكِ."

ذهبت مع خالد إلى الشاطئ، حيث كنا نجلس على الرمال ونشعر بنسمات البحر الدافئة. تحدثنا عن الذكريات الجميلة مع والديّ، وكنا نستمد القوة من تلك اللحظات السعيدة.

خالد: "هل تذكرين عندما كنا نذهب إلى البحر مع والديّ؟ كانت تلك الأيام مليئة بالفرح والضحك."

أنا: "نعم، أفتقد تلك الأيام كثيرًا. أحيانًا أشعر بأن كل شيء كان أفضل عندما كانوا هنا."

خالد: "أعلم، لكن علينا أن نجد القوة في داخلكِ. والديّ يريدان أن يرونكِ سعيدة وناجحة! سنكون معًا في هذا."

في تلك الأوقات العصيبة، كانت حياتي تمثل تحديًا للجميع، بمن فيهم أخوتي. كانوا يحاولون جاهدين توجيهي نحو الطريق الصحيح، لكنني كنت أرفض الانصياع. كنت أرى في التمرد والإصرار على ما أريد نوعًا من الحرية.

أحد الأيام، كنت جالسة في غرفتي أتأمل الأحداث التي مرت بي، فجأة طرق الباب ودخل أخي ، خالد.
خالد : "هل يمكننا الحديث؟"
نظرت إليه بعينين غاضبتين، ولكنني لم أرد. جلس خالد بجواري على السرير وأخذ نفسًا عميقًا.
خالد : "نحن قلقون عليكِ، أنتِ تعرفين هذا، أليس كذلك؟"
أنا: "لا أحتاج لقلقكم. يمكنني تدبير أموري بنفسي."
خالد : "لكن تصرفاتكِ هذه لا تدل على ذلك. نحن فقط نريد الأفضل لكِ."
أنا: "الأفضل لي؟ أنتم تحاولون فقط تقييدي. أريد أن أعيش حياتي كما أريد."
خالد : "نحن لا نحاول تقييدك. نريد أن نساعدك. الجميع يخطئ، ولكن يجب أن نتعلم من أخطائنا."
أدرت وجهي بعيدًا عنه، لم أكن أريد أن أعترف بوجود جزء من الحقيقة في كلامه.
أنا: "أريد فقط أن أكون حرة."
خالد : "الحرية تأتي مع المسؤولية. لا يمكنك أن تتجاهلي كل شيء وتتوقعي أن تسير الأمور كما تشائين."
كانت تلك الكلمات تلامس جزءًا عميقًا في داخلي. كنت أعلم أن خالد محق، ولكنني لم أكن مستعدة للاعتراف بذلك.
أنا: "سأفكر في كلامك."
خالد ابتسم بحنان وقال: "هذا كل ما أطلبه منكِ. نحن هنا لدعمك، مهما كان."
وتركني خالد بعدها.

ذات مرة جلست على حافة السرير في غرفتي، أفكر في كل ما حدث. نظرت إلى المرآة ورأيت نفسي قوية، مستقلة، ولكن في أعماقي كنت أعرف أن هذه القوة الظاهرية تخفي خلفها الكثير من الألم والضياع! لم يكن تحدي القوانين إلا وسيلة للتعبير عن الاستياء الداخلي والبحث عن الهوية.

إخوتي لم ييأسوا! كانوا دائمًا بجانبي، يحاولون بكل ما أوتوا من قوة إعادتي إلى الطريق الصحيح. بالرغم من كل الخلافات، كان حبهم لي واضحًا في كل تصرفاتهم.
مرت الأيام وكانت المحاولات مستمرة. أحيانًا كنت أستمع، وأحيانًا أخرى كنت أرفض. لكن في النهاية، أدركت أن العائلة هي التي تمنحني القوة، وأنه لا يمكنني التمرد إلى الأبد.

(لم أعد أبالي بشيء اكتفيت! خلي اللي يحصل يحصل..
سأنام وأستيقظ هذا يكفي ...)

كانت الحياة الجامعية تمثل لي بداية جديدة ومليئة بالتحديات. في أحد الأيام، بينما كنت أتجول بين أروقة الجامعة، مشغولة بالتفكير في المحاضرات والواجبات، وقع نظري على فتاة تجلس وحدها في زاوية المكتبة، كانت تحمل كتابًا يبدو مثيرًا للاهتمام، وكانت تعابير وجهها تشير إلى تركيز عميق.
شعرت بالفضول واقتربت منها بلطف.
"مرحبًا، هل يمكنني الجلوس هنا؟" سألتها.
رفعت الفتاة رأسها وابتسمت بود: "بالطبع، تفضلي."

جلست بجانبها ونظرت إلى الكتاب الذي كانت تقرأه.
-أرى أنكِ تستمتعين بالكتاب. أنا ليان.
-نعم، إنه كتاب رائع! أنا إيمان. تشرفت بمعرفتك، ليان.

بدأنا بالتحدث عن الكتاب وعن حياتنا الجامعية. كانت الأحاديث تتدفق بسلاسة، وكأننا تعرفنا على بعضنا منذ فترة طويلة.
-"أنا طالبة في قسم الأدب الإنجليزي. أحب قراءة الكتب واستكشاف العالم من خلال الكلمات. وأنتِ؟" سألتني إيمان.
-أنا طالبة في قسم اللغة العربية. أحب العلوم والأبحاث، ولكن لدي شغف كبير بالكتابة أيضًا. في الحقيقة، أكتب روايات قصيرة كهواية.
-هذا رائع! ربما يمكننا أن نتبادل الكتب أو نتحدث عن الأدب والعلوم معًا. أعتقد أننا سنكون أصدقاء جيدين.

شعرت بسعادة غامرة، فقد وجدت صديقة تتشارك معي اهتماماتي وأحلامي. استمرت المحادثة بيننا لساعات، نتبادل الأفكار والضحكات. لم أكن أعلم أن هذا اللقاء سيكون بداية لصداقة عميقة تدوم لسنوات طويلة.

ومع مرور الأيام، أصبحت إيمان وأنا قريبتين جدًا. كنا نذهب معًا إلى المحاضرات، وندرس سويًا في المكتبة، ونستمتع بالمشي في حرم الجامعة. كانت إيمان ملاذًا آمنًا لي، تستمع لي وتدعمني في كل المواقف الصعبة! كانت أيضًا تسكن في الحارة الثانية من حارتي، مما جعلنا نتقارب أكثر.

إيمان كانت شخصية غامضة بعض الشيء، لم يكن أحد يعرف عنها الكثير. كانت دائمًا هادئة ومتأنية في كلامها، لكنها كانت تحمل الكثير من الحكمة والعمق.

أصبحت إيمان أقرب شخص لي من الجميع. كانت تمتلك نفس التفكير والإحساس والتمرد الذي عندي. أصبحنا صديقتين مقربتين كثيرًا. كان أخي خالد يمنعني من الاختلاط بها أحيانًا بسبب تصرفاتي، لكني لم أأبه به.

في وقت المحاضرة، كنت أهرب مع إيمان. كانت لديها مكان سري تتدرب فيه.
في أول مرة أخذتني إلى هناك، انبهرت لجماله! كان منعزلًا عن الجميع، ليس بعيدًا عن الجامعة، لكن الجميع يخافه وقد ظن الكثير أنه مسكون فلا يذهب أحد هناك. كانت بناية كبيرة بثلاثة طوابق، وقد صنعت آلات التدريب بنفسها وتعلمت مهارات كثيرة من الإنترنت.
عندما دخلنا، قالت إيمان بابتسامة غامضة: "أهلاً بكِ صديقتي في عالمي السري. تفضلي، آمل أن ينال إعجابك."
انتاب وجهي علامات الإعجاب والدهشة!!
لم أتوقع هذا، بالرغم من أنها قد أخبرتني أنها تملك عالمًا سريًا. ظننت أنها تستغبيني!

إيمان: "هل أعجبك المكان؟"
أنا: "هذا مذهل! لم أكن أتوقع هذا أبدًا. كيف تمكنتِ من صنع كل هذا بنفسك؟"

إيمان: "تعلمت الكثير من الإنترنت وكنت أعمل بجد على هذا المكان. أردت أن يكون لي مكان خاص أستطيع أن أكون فيه على طبيعتي."

كانت إيمان تملك دراجة نارية جميلة أيضًا. كانت تحب التحديات والمغامرات، وهذا ما جعل صداقتنا قوية ومميزة.
أدركت أن إيمان لم تكن مجرد صديقة، بل كانت رفيقة دربي في كل مغامرة نخوضها معًا. كانت هذه الصداقة تمثل لي القوة والدعم في كل المواقف الصعبة التي مررت بها.

"الفصل السابع"

بعد أن كشفت إيمان لي عن عالمها السري، أصبحنا نهرب معًا من المحاضرات ونذهب إلى ذلك المكان السري للتدرب. كان هذا المكان يمثل لنا ملاذًا آمنًا بعيدًا عن أعين الجميع، حيث يمكننا أن نكون على طبيعتنا ونستمتع بوقتنا.
في كل مرة كنا نذهب إلى هناك، كانت إيمان تستقبلني بابتسامة عريضة وتقول: "مرحبًا بكِ في عالمي السري، ليان. هل أنتِ مستعدة للتدريب اليوم؟"
كنت أشعر بالحماس والتشويق في كل مرة. كنا نتدرب على مهارات مختلفة، بدءًا من اللياقة البدنية إلى تعلم الدفاع عن النفس! كانت إيمان قد صنعت آلات التدريب بنفسها، وتعلمت الكثير من المهارات من الإنترنت.

إيمان: "اليوم سنتدرب على تقنيات الدفاع عن النفس. يجب أن تكوني قوية وسريعة في رد الفعل."
أنا: "أنا مستعدة، إيمان. دعينا نبدأ."

كانت التدريبات شاقة، لكنني كنت أستمتع بكل لحظة. كنا نتحدى بعضنا البعض ونتعلم من أخطائنا. كانت إيمان دائمًا تشجعني وتدفعني لتقديم أفضل ما لدي.

إيمان: "تذكري، ليان، القوة ليست فقط في الجسد، بل في العقل أيضًا. يجب أن تكوني دائمًا مستعدة لأي موقف."
أنا: "أفهم ذلك. سأحاول أن أكون أكثر تركيزًا."

كنا نقضي ساعات طويلة في التدريب، نتبادل الأفكار ونتحدث عن أحلامنا وطموحاتنا. كانت إيمان تملك دراجة نارية جميلة، وكنا أحيانًا نذهب في جولات سريعة حول المدينة بعد انتهاء التدريبات.

إيمان: "هل ترغبين في جولة بالدراجة اليوم؟"
أنا: "بالتأكيد! أحب تلك الجولات، تشعرني بالحرية."

كانت تلك اللحظات تمثل لي الكثير. كنت أشعر بأنني أعيش مغامرة حقيقية، وأنني أكتسب مهارات جديدة وأصبح أقوى! في نهاية كل يوم، كنا نجلس معًا ونتحدث عن ما تعلمناه وما نطمح لتحقيقه في المستقبل. كانت تلك الأحاديث تعزز من صداقتنا وتجعلها أقوى.

إيمان: "ليان، أنا سعيدة جدًا لأننا أصبحنا أصدقاء. أشعر بأننا نستطيع تحقيق الكثير معًا."
أنا: "وأنا أيضًا، إيمان. أنتِ حقًا كنز في حياتي."

كانت تلك الأيام مليئة بالتحديات والمغامرات، وكانت تمثل لهن بداية لفصل جديد مليء بالأمل والطموح.

بعد فترة من التدريب السري الذي خضته لمدة سبعة أشهر، بدأت تظهر عليّ التغييرات. في بعض الليالي، كنت أذهب إلى صديقتي إيمان بحجة المذاكرة، لكننا كنا ندخل عالمنا الخاص. كانت إيمان ترتدي جينزًا أسودًا ومعطفًا أسود يغطي وجهها ورأسها، وكنت أفعل الشيء نفسه. ركبنا الدراجة التي تعلمت القيادة عليها منها، وتجولنا في أرجاء المدينة كلها دون أن يلاحظ أحد.

استمررنا على هذا الحال أسبوعًا، إلى أن جاء صباح يوم السبت، حيث تعاركت مع عائلتي. أخذت حقيبتي وأسرعت إلى الجامعة، كنت أسير بسرعة بينما كان أخي يصرخ عليّ، لكنني لم ألتفت له. التقيت بإيمان وأخبرتها بما حدث. جلسنا معًا حتى هدأت، ووقفتُ في ممر الجامعة أنتظر أخي. كانت بجانبي فتاتان، وقفت إحداهما خلفي، وعند شرودي دفعتني بخفة وكأنها تعثرت! كانت هناك سيارة مسرعة، فاصطدمتُ بها وطرت كأنني ريشة في الهواء! وقعت على الأرض بعد تقلبات، وكنت ممددة على جانب الطريق. دمائي أصبحت بحرًا أحمر، وملازمي وهاتفي وحقيبتي، كل أشياءي تناثرت في الجهة الأخرى! تجمع الناس فوق رأسي، كنت لا أشعر بشيء سوى أن روحي تغادر جسدي.

وصل أخي، نظر من بعيد، يبحث عني بين الجموع. يرن على هاتفي، يجده يرن في زاوية بعيدة عن الناس! يمشي بخطوات مترددة، ينظر إلى أشيائي فتتضح له الحقيقة!

أخذوني إلى المستشفى، جسدي تغير لونه، لم يعد فيه دم، ذهبوا بي إلى الطوارئ، يتحسسون نبضي، وكان ضعيفًا، سمعتهم يقولون: "إنها تجاوزت مرحلة الخطر، لكن إرادتها في الحياة ضعيفة. لديها كسر في يدها ونزيف في رأسها، وقد أوقفناه. قلبها كان متضررًا من قبل، وإذا لم تتعالج له كانت ستسوء حالتها أكثر!

لعل هذا الحادث كشف عن مرضها." عند سماعي هذا الكلام، ذرفت عيناي الدموع. أبكي دون صوت أو ألم، ثم أغمضت عيناي.

عندما فتحت عيناي، كنت في عالمنا أنا وإيمان. كانت إيمان بجانبي، متلهفة للاطمئنان عليّ.

إيمان: "كيف حالكِ؟ هل تشعرين بأي ألم؟"

-لم أتكلم، أحاول أن أفهم ما حدث.

إيمان: "اهدأي، ليان. سأخبرك بكل شيء. اشربي الماء الآن."

شربت الماء وتحدثت.

إيمان: "بعد غيابكِ عن الوعي في المستشفى، حاول الأطباء إنقاذك لكنهم لم ينجحوا. خرج الطبيب يخبرنا أنكِ متِّ. لم أفهم ما قال، فصرخت في وجهه ودخلت إليكِ وكنت أصرخ وأصرخ وأقول لكِ لا تذهبي لا تذهبي! أمسكتُ يدكِ بقوة، شعرت بيدك تُمسكُ بي أيضًا! توقفت عن البكاء، وعندما كان أخوك يُجري الترتيبات للدفن، استغليت الوضع وأخذت أهدد الطبيب. بعد أن استقر وضعك، أخذتك إلى هنا. أخبرت الطبيب أن يقول أن وجهك لا يمكن كشفه بسبب الحادث، وتم تبديل جثتك بجثة أخرى! وبعد التأكد من نجاح كل شيء، غادرت المستشفى. والآن هو اليوم الثاني من "موتك" وبعد دفنك."

"الفصل الثامن"

ثم إن ما تمر به الآن سيمضي وتبقى ذكرى... تعتقد أنك الشخص الوحيد المحاط بشعور الأسى، والخيبة، والخذلان، والحزن، والتعب، والإرهاق، وحيد لا أحد يهتم لأمرك. وتظن أنها النهاية، وتكتشف أنها البداية.

كان بداية يوم جمعة جميلة، جهزنا كل شيء ولم ينتبه أحد علينا! استيقظنا في الصباح الباكر على أذان الفجر، كانت جروحي ما زالت تؤلمني. صلينا الفجر أنا وإيمان وقرأنا سورة الكهف في ذلك الفجر، ثم خرجنا نتفقد المكان وقد يكون آخر يوم لنا هنا! أخرجت إيمان دراجتها قبل أن يراها أحد، وبعدها خرجتُ أنا من عالمنا ذاك. زرنا كل مكان، وقد سألتُ إيمان:
"إيمان حبيبتي، هل أنتِ متأكدة من قرارك هذا؟"
-إيمان: "نعم، وبكل تأكيد."
-ليان: "وإذا تم كشفنا ولاحظ عمك بذلك؟"
-إيمان: "لا يهم، ألا ترين أنه لم يسأل عني حتى أو يبحث عني منذ أسبوع؟ أنا لا أعلم كيف سيواجه أبي وأمي عندما يلتقيان في الآخرة."
-ليان: "حسنًا، لا تقلقي، أنا هنا، أليس هذا كافيًا؟ تعالي هنا."
احتضنتها، وبعدها قالت: "هل تعلمين يا ليان أنني أحبك كثيرًا."
ليان: "وأنا أيضًا. هيّا دعينا نسرع للعودة لأننا سنغادر عندما يحل الظلام."

حل الظلام وها نحن مستعدون للرحيل ولا نعلم كيف سنفعل هذا. لقد قمنا بتخبئة جميع أغراضنا التي في عالمنا في غرفة سرية في هذا البيت وقمنا بقفلها. بعدها ملأت حقيبتي السوداء بجميع الأغراض التي ستلزمنا، ثم ارتدينا ملابسنا السوداء: جينز مع

سترة بقبعة نغطي فيها رأسنا وقناع أسود، وتبقى العينان كي لا نكشف أننا فتاتان. شغلت إيمان الدراجة وانطلقنا مسرعين كي لا يرانا أحد ويتعرف على جسمنا الرقيق ويعرف أنه شكل فتاة.
تجاوزنا جميع نقاط التفتيش بصعوبة، كنا في قمة التوتر وندعو طيلة الطريق كي لا ننكشف.

وصلنا إلى ميناء الحديدة في الساعة 11:11 مساءً. لم يسمح لنا بدخولها، ومن حسن حظنا أن هناك سفينة ستبحر في الفجر. لم نستسلم، وبعد أن نام الجميع وكان هناك مراقبة شديدة، أخبرت إيمان أنني سأشغلهم وهي تدخل السفينة مع الدراجة.
ذهبتُ إلى مكان بعيد، جمعت كميات كثيفة من القمامة وقمت بحرقها، اشتعلت النار وكانت نارًا كبيرة جدًا! في هذا الوقت، دخلت إيمان السفينة وأنا ما زلت أشعل النار لتزداد، تجمع الناس وكل من كان في الميناء، وعندما كان الناس مشغولين في إطفاء النار يركضون هنا وهناك، استغليت الوضع ودخلت مسرعة بعد إيمان، وكانت قد أخفت الدراجة في صندوق.
غلبنا النوم ونمنا إلى أن سمعنا السفينة تتحرك! قمنا مسرعتين نتفقد المكان، جلسنا نخطط ماذا نفعل الآن؟
كنت متعبة قليلاً، فذهبت إيمان لتنفيذ الخطة! كانت ماهرة جدًا في التسلل بدون أن يراها أحد. أخذت منومًا معها وذهبت مسرعة، دخلت المطبخ هناك ووضعته في طعامهم وعادت بسرعة كبيرة. لم أستوعب الأمر إلا بعد ساعة واحدة ونحن في وسط البحر! عم الهدوء، خرجنا نتفقد، فكان جميعهم نائمين! أخذنا قاربنا وطعامًا يكفينا لمدة يومين وماء. كان الصعب علينا أن ننزل الدراجة في القارب، لم يكن صغيرًا بل يستطيع حملنا جميعًا، وبقوة إيمان وذكائها، استطعنا أن ننزل الدراجة! أخذنا معنا خريطة وبوصلة

كي لا نضيع في البحر. تحركنا بسرعة كبيرة ولم يلاحظ علينا أحد!
عندما ابتعدنا كثيرًا ولم نعد نرى أحدًا، دخلنا في هستيريا الضحك، لا أعلم لماذا نضحك، ربما كان جنونًا أم لأننا نجحنا!
كنت في حضن إيمان، قلت لها: "لقد كنت أتخيل هذا اليوم منذ زمن ولم أتوقع أنني سأفعلها حقًا."

إيمان: "لا تقلقي، نحن مع بعض سنفعل الكثير."

حل الظلام وما زلنا في البحر، لم نرَ شيئًا. هل يمكن أننا تهنا؟ لكننا نسير وفق الخريطة! بعدها غلبنا النعاس ولم نستطع المقاومة.

في اليوم الثاني، استيقظنا على شعاع الشمس.
لطالما تمنيتُ الرحيل إلى عالم أكثر هدوء وراحة!
كنا ننظر من حولنا، لا نجد شيئًا، كل شيء من حولنا ماء! تعبنا وأوشك الماء على النفاد منا. جلسنا نتأمل المكان، قطعت الصمت إيمان وقالت: "ليان، هل تجيدين السباحة؟"
ضحكت وقلت لها: "لا، لا أجيد السباحة."
لم تصدق كلامي، قالت: "حسنًا، طالما نحن هنا دعينا نسبح معًا."
أوقفت القارب، بعدها نزلت هي لتسبح. كانت ماهرة حقًا في السباحة! بعد أن انتهت من السباحة، صعدت وقالت: "الآن دورك."
قلت لها: "لا أستطيع، أنا أخاف!"
إيمان: "لا عليكِ، أنا هنا وسأمسك بكِ."
لبست سترة النجاة، وبعدها نزلت وكنت أضحك كثيرًا من حركاتي تلك في السباحة. تعالت أصواتنا إلى أن سمعنا صوت شيء غريب يتجه نحونا! أسرعت بالصعود على القارب، وأخذت إيمان المنظار

كي تنظر ماذا هناك! صرخت بأعلى صوتها ولم تجب، أخذت أنا المنظار وأخذت أبحث وأبحث إلى أن استقر نظري عليه! تجمدت، إنه قرش كبير جدًا!! لم أتخيل قط هذا، لم أفكر بهذا، اعتقدت أنه في الأفلام فقط، كان يقترب نحونا بسرعة كبيرة! شغلت إيمان القارب وانطلقنا بسرعة كبيرة، لم نلتفت بتاتًا، قد تكون هذه نهايتنا! لم نعد نراه، أظن أننا أضعناه أم أضعنا طريقنا!

حل الظلام وقد كان الجو باردًا جدًا، غير ليلة البارحة! اشتد البرد، احتضنا بعضنا ونمنا ولم نصحُ إلا بعد أن أحرقت الشمس جسدنا ونحن على شاطئ. فتحنا أعيننا على منظر جميل وكانت سعادتنا لا توصف!

لا نعلم هل نحن في المكان الصحيح أم لا؟!

نزلنا لنتأكد، قمنا بتخبئة القارب، بعد ذلك ركبنا الدراجة لنكتشف المكان مشينا ما يقارب ساعة.

"الفصل التاسع"

لربما كنتُ أقلق على أبسط الأمور وأكبرها،
وأزرع في قلبي شيئًا من الصلابة لتصديها.

بعد أن مشينا كثيرًا وظهرت علامات التعب علينا، ونحن لا نملك شيئًا للأكل، توقفنا لحظة. لا نعلم هل هو سراب أم حقيقي؟ لا، إنه حقيقي حقًا، إنه علم إسرائيل! كأننا في حلم، صرخت صرخة الانتصار القادم. جلسنا قليلاً نراقب ماذا يفعلون وكم شخص منهم وعن تحركاتهم، إلى أن توصلنا إلى خطة محكمة! كنت أريد أن أذهب، ولكن إيمان لن تسمح لي.

إيمان: "لا، أنا سأذهب. جرحك ما زال طريًا ولا تنسي أنه بسبب الماء قد تجرثم وعلينا تعقيمه قبل أن يزيد. أم أنك لا تثقين بي؟"
ليان: "ليس كذلك، فقط تحمست وأريد البدء بسرعة."
إيمان: "لا عليكِ، سأذهب وأنفذ ما اتفقنا عليه وأعود بسرعة."
ليان: "انتبهي على نفسك."
إيمان: "حسنًا، لا عليكِ."

حضنتني حضنًا وكأنه حضن الوداع، لم أفهم.

كان هناك مخيم إسرائيلي ليس بكبير، وكان هناك تقريبًا عشرين جنديًا. بعد أن ذهبت، أسرعت لأتابعها في المنظار، كنت خائفة حقًا! كانت إيمان حقًا ذكية، تتسلل بمهارة، لم يلاحظها أحد! حتى أنها اقتربت من شخص بسرعة البرق، وبخفة يدها تم قطع رقبته وأخفته بسرعة!

لم أنتبه إلا لشخص خلفي يقول شيئًا غريبًا لم أفهمه، كان بلغة إسرائيلية! ابتلعت ريقي بخوف والتفت أمامي، كان جنديًا من جنود إسرائيل ملثمًا ويوجه سلاحه نحوي! أغمضت عيني ونطقت الشهادة، هذه نهايتي!

عندها سمعت ضحكة، أعرفها حقًا، أعرف هذا الصوت والضحك، فتحت عيناي نحو الجندي، نعم، إنها إيمان! لم أتمالك نفسي، فوقعت أضحك.

إيمان: "ليان، اصمتي، سيسمعنا أحد. فلتصمتي."

لم أستطع السكوت حتى أقفلت فمي بيدها.

ليان: "كدت أموت، حقًا كدت أموت وأنا أضحك. كيف طاوعك قلبك لتخيفيني هكذا؟"

إيمان: "أنا حقًا آسفة، حقك علي! لكن كيفني، أليس كذلك؟"

ليان: "نعم، نعم. وإن فعلتِ هذا بي مرة أخرى سأقتلك، هل تفهمين؟"

إيمان: "لا، لن أفعل."

ليان: "لكن أخبريني، كيف تعلمتِ تلك اللغة؟"

إيمان: "ههه، لم أخبركِ، صحيح؟ لقد تعلمتها منذ فترة طويلة قبل أن ألتقيكِ."

ليان: "هذا جميل حقًا! هل باستطاعتكِ أن تدخلي معهم وتتكلمي بدون أن يشك أحد بكِ؟"

إيمان: "نعم."

أخفينا الجثة، بعدها ذهبت إيمان لتكمل الخطة.
وأنا أنتظرها بقلق يأكلني.

جندي إسرائيلي: "أنت."
إيمان بنفس اللغة: "أنا؟"
الجندي: "نعم، أنت. تعال هنا بسرعة."
إيمان: "حسنًا."
الجندي: "اذهب وتفقد الأسلحة الجديدة التي وصلت بسرعة."
إيمان: "حسنًا."
الجندي: "توقف."
كانت منزلة رأسها كي لا يتعرف عليها: "نعم؟"
الجندي: "ما كان اسمك؟"
كانت لا تعلم ماذا تقول، ولحسن الحظ تذكرت اسمًا بسرعة وأخبرته: "أنا اسمي (إيتان)."
الجندي: "حسنًا، اذهب بسرعة."
ذهبت ولا تعلم أين الأسلحة، تمشي ببطء حتى رأت كمية كبيرة من الصناديق: "أظن أن هذه هي الأسلحة."
دخلتْ وتفقدتْ الكمية الكبيرة من الأسلحة، أخذت واحدًا تلو الآخر ممن كانوا في خيمة الأسلحة وربطتهم جميعًا! أخرجت الأسلحة وأدخلتهم فيها. خرجت تبحث في الخيم الباقية، كل من كان يشك بها تمسكه بسرعة وتأخذه إلى خيمة الأسلحة، إلى أن قل عددهم.
ذهبت إلى مكان القيادة وأخبرته أن الجميع اختفى! كان يصرخ: "ماذا؟ أين ذهبوا؟ دعني أذهب لأرى ماذا هناك، ابتعد."
خرج مسرعًا، وإيمان أغلقت جميع الأجهزة وأخرجت قنبلة ووضعتها في الخيمة وخرجت مسرعة! أشارت لي بالإشارة التي اتفقنا عليها، وأسرعتُ بالدراجة نحوها!

وصلت إليها، وحملنا جميع أنواع الأسلحة في صندوق وضعناه في الدراجة، وقد وضعنا في كل خيمة قنبلة. أسرعنا في الابتعاد وضغطنا على الزر، فانفجر المكان بالكامل. كان انفجارًا هائلًا!

مشينا في تلك البيوت والعمارات المهدمة، خراب كبير جدًا! بعد قليل، سمعنا أصوات دبابات تقترب، أسرعنا في الاختباء! وبعد أن اقتربوا، رمينا بثلاث قنابل في كل دبابة قنبلة، فحدث انفجار كبير. أسرعنا بالدراجة للهروب قبل أن يتكاثروا، لم ينتبه لنا أحد.

وبعد يوم من البحث في هذا المكان الذي لا نعرف اسمه، لم نجد أحدًا، وقد ينفذ البنزين في أي لحظة! بعد نصف ساعة، كنا نسمع صواريخ كثيرة تنطلق إلى المكان المقابل، أسرعنا إلى المكان الذي يطلق منه الصواريخ، وقد كان جيشًا إسرائيليًا كبيرًا! أخذنا نتسلل بخفة حتى لا يشعر بنا أحد، وأخذنا معنا بعض القنابل، وبينما هم مشغولون بالحرب، وضعنا القنابل وأخذنا من قنابلهم وزرعناها! بعدها ذهبنا بعيدًا، وأنا ذهبت عند الدراجة وجلست أنتظر إيمان! ذهبتْ إلى أقرب مكان لتقذف بالقنبلة وتفجر بقيتهم! رمت القنبلة، وأنا أسرعتُ إليها، ركبتْ الدراجة وأسرعتُ بالهروب قبل أن يصل إلينا الانفجار.

"الفصل العاشر والأخير"

كنت أظن أن كل شيء مؤلم قد انتهى ها هنا!
وسأبدأ في استقرار روحي والطبطبة على قلبي لأعيده مستقرًا!
وللحظة، كنت أعتقد أن الأمور ستستقر، ونسيتُ أن الإنسان خلق في كبد! عادت الأمور لتصبح أكثر انهيارًا مما كانت.

بعد أن هربنا من ذلك الانفجار وشعرنا بالأمان، جلسنا في مكان خالي داخل بناية مهدومة، نمنا معًا وكان الجوع والعطش يتملك منا! حتى حل الصباح، وكان صباحًا يحمل معه الكثير والكثير من الأحلام التي على وشك أن تتحقق.

استُهلك البنزين ولم نعد قادرتين على أخذ الدراجة معنا، فأخفيناها في ذلك المكان وأخذنا القليل من الأسلحة التي يسهل حملها! مشينا كثيرًا ولم نعد قادرتين على المواصلة، والجو كان حارًا جدًا! جلسنا قليلاً، كان يوجد حولنا جبال وعشب يابس، أرض قاحلة وهناك آثار للقصف! ارتحنا قليلاً، ثم قمنا لنواصل الحركة على أمل أن نجد شيئًا.

تحركنا بعض خطوات حتى سمعنا طلقات النار! تجمدتُ، ظننتُ أنني أصبتُ برصاصة إلى أن سحبتني إيمان إلى الأرض! اختبأنا وواصلنا الزحف، وطلقات النار لا تتوقف. كان هناك أربعة أشخاص من جنود إسرائيل في سيارة تتجه نحونا! كان الطريق وعرًا لا نستطيع الركض، وأيضًا السيارة لا تستطيع المواصلة فتوقفتْ، ونحن أسرعنا بالفرار! تبعونا، وكان أمامنا مرتفع كبير لا نستطيع القفز عنه. لم يتبقَ سوى مرتفع واحد وسيصلون إلينا!

نزلنا في الجبل، وقد كان خطرًا لكن ليس لدينا حل آخر! تعثرتُ ووقعت، وكنت أزحلق في الحجارة ولا أستطيع التوقف! كنت أصيح بأعلى صوتي: "إيمان، إيمان، أوقفيني!" حتى اصطدمتُ بصخرة كبيرة وكسرت ساقي! أسرعت إيمان إلي، ولم أستطع المشي! حاولت كثيرًا أن تساعدني على المشي.
ليان: "إيمان، أرجوكِ اذهبي. سيمسكون بنا."
إيمان: "ماذا تقولين؟ لن أتركلكِ أبدًا، أما ننجو أو نموت سويًا."
كنت أبكي كثيرًا: "أرجوكِ، لا تفعلي هذا. سيأتون. هيّا، اسرعي، لقد وصلنا إلى هنا ولن نستسلم. هيّا، اختبئي، وسأكون بخير، لا تقلقي."
إيمان: "حسنًا، لكن فلتعلمي أنني لن أتركلكِ. سأذهب الآن وأعود."

بينما إيمان اختبأت، وصل الجنود ووجهوا السلاح نحوي، هذه هي نهايتي! لا مهرب من الموت، كاد أحدهم يضغط على الزناد، أوقفه جندي آخر منهم! لم أفهم ماذا كان يقولون، أزالوا القناع عني واكتشفوا أنني فتاة! كان يصرخ في وجهي وأنا أتألم من ساقي وأبكي! أخذوني إلى السيارة، لم أعد قادرة على فعل شيء ولا أعلم أين ذهبت إيمان!!

كانوا في السيارة يتحدثون كثيرًا ويضحكون، وأنا مثل الأطرش في الزفة!
حقًا، هذه نهايتي! سيكون موتي بهذه البشاعة! دعوت الله كثيرًا ولم تتوقف دموعي، إلى أن وصلنا إلى مخيم، ذهبنا إلى هناك فأخذوني إلى مخيم الإسعاف، ومن حسن حظي، كانت هناك ممرضة! داوت جروحي وضمدتها، كانت تتحدث إلي وأنا فقط أشير برأسي. كانت فتاة جميلة، بيضاء، ذات شعر أشقر، ترتدي زي الممرضات

الأبيض وتربط شعرها إلى الأعلى، عيناها رماديتان، ولا يوجد غيرها في المخيم، أظن ذلك.

بعد ساعة ونصف، حضر شخص من الذين قبضوا عليّ، دخل، وقمت بتغطية وجهي وشعري، فضحك! لا أعلم ماذا يدور في ذهنه! اقترب مني وأخذ عكازه وسحبني من يدي حتى صرختُ من الألم! سحبني وأخرجني، كان جميعهم ينظرون لي، حتى وصلنا إلى خيمة كانت قبيحة جدًا، ورائحتها نتنة! أجلسني على الكرسي، كانت حولي جميع آلات التعذيب التي رأيتها في المسلسلات والأفلام، وها أنا أعيشها حقًا!
دخل شخص آخر، ابتسم ابتسامة خبيثة، أعرف تلك الابتسامة جيدًا! لم أكن معهم، ولم أفهم ما يقولان.

(بصوت داخلي): "أين أنتِ يا إيمان؟ تعالي فلتساعديني."
الرجل: "مرحبًا! نعم، لقد تكلمتُ بالعربية. هل استغربتِ؟ لا داعي، والآن قولي ما اسمكِ ومن تكونين وأين ذهب الشخص الذي كان معكِ."
لم أجب على أي من كلامه. صفعني بكل قوته، وسالت الدماء من فمي!
الرجل: "تحدثي وإلا ستدفعين الثمن!"
قلت بكل برودة: "اصنع بي ما تريد، لن أقول شيئًا، فلتذهب إلى الجحيم!"

زاد جنونه وقام بضربي، لم يستوقفه إلا صوت تفجير! خرج الجميع ليروا ماذا يحدث، بعد خروجهم، بكيتُ حتى تقطع صوتي وقلبي! دخل شخص إلي وكان ملثمًا! أبعد القناع عن وجهه، وكانت

إيمان! ابتسمتُ لها، وبعدها أخرجتني بسرعة، وتم تفجير كل المكان وقتلهم! أصبحنا بعيدين عنهم، غبتُ عن الوعي!.
بعد ربع ساعة، أفقت، كانت إيمان جالسة تنظر إلي وتبكي!
ليان: "إيمان، لماذا تبكين؟"
إيمان: "أنا حقًا آسفة، ليان."
ليان: "لا داعي. كنت أعلم أنكِ ستنقذينني."
كان معها ماء، شربت حتى هدأت! كان وجهي متورمًا من الكدمات، غسلت إيمان لي وجهي، وبعد أن هدأت، سألتها:
"إيمان، كيف وصلتِ إلى هنا وأنا لم أجدك؟"
إيمان: "سأخبركِ، عندما أخذوكِ إلى السيارة، تبعتكم بالخفاء وركبتُ خلف السيارة دون أن يلاحظ أحد! وعندما رأيتُ المخيم واقتربنا منه، علمت أنهم سيأخذونكِ إليه، فقفزت واختبأت ومشيت إلى المخيم! كان صعبًا علي أن أدخله، لذا تأخرت عليكِ. أعتذر حقًا، كنت سأخسركِ ليان، لا يعقل هذا!"
ليان: "لا عليكِ، ها أنا بجانبكِ، لن نفترق مجددًا."

مر يوم كامل ونحن ما زلنا لم نرَ أحدًا! جلسنا في ذلك الجبل نتأمل المكان، كنت جالسة وأسند رأسي على إيمان، وكانت السماء مليئة بالنجوم.

إيمان: "ليان، هل حقًا سنرى شخصًا ما؟ أم أننا سنكون مشردين هنا؟"
ليان: "لا تقلقي إيمان، أنا هنا بجانبكِ وسنكمل الطريق سويًا! سنصل بكل تأكيد. صحيح أننا لا نعلم من أين نتجه، لكن قلبي يخبرني أن جهة الشرق هي الطريق."
إيمان: "حسنًا، في الصباح الباكر سنذهب من هناك."

شعرنا بالاطمئنان في ذلك الليل الجميل! وفي الصباح الباكر، انطلقنا. كانت خطواتي بطيئة بسبب ساقي المكسورة! واصلنا السير حتى كادت الشمس تغيب، بعد تعب، جلسنا..

ليان: "إيمان، إيمان، انظري هناك، أعتقد أننا وصلنا."
إيمان: "أين؟ أنا لا أرى شيئًا."
ليان: "هل يمكن أن يكون سرابًا؟ أتخيل؟ لا، انظري هناك عند إشارة يدي."
إيمان: "نعم، نعم، أنا أراهم. هيا، أسرعي."

أخذت يدي في كفها وانطلقنا والابتسامة تشق مبسمنا!
وصلنا وأنا أصرخ وأقول: "أنا من اليمن، أنا فتاة من اليمن".
وأمسك بيدي علمنا!
عندما وصلنا، كنت ما زلت أصرخ حتى كان الجندي الفلسطيني يضحك من حالتي تلك!
كان يرتدي زيًا أسودًا وكان ملثمًا أيضًا!

عندما تأكد أننا فتاتان، أدخلنا دون النظر إلينا لأن لبسنا مشرد مثلنا! كنا سعيدتين كثيرًا! عند دخولنا، الجميع كان يحتفل!
إيمان: "هل علموا بوجودنا وماذا فعلنا كي يحتفلوا؟"
وبينما أنا شاردة أفكر، قطع شرودي صوته.
الجندي: "تفضلوا هنا، ادخلوا وارتاحوا."

إيمان: "حسنًا، ولكن ما هذه الاحتفالات؟"
الجندي: "ألا تعلمون؟"
ليان: "لا نعلم، ماذا حدث؟"

الجندي: "إنه يوم التحرير، لقد تحررت فلسطين!"
ليان وإيمان معًا: "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر!"

بعد أن خرج الجندي، حضنتُ إيمان ونسيتُ جروحي!

15/1/2025م
عاشت فلسطين حرة، عاشت.

حقيقة ممزوجةٌ بخيالي، مبعثرةٌ كروحي تهوى ولا تهوى.

"لؤلؤة الكون"

رحلة البقاء

أنا فتاة جامعية، أحمل الأدب في قلبي. لم يتبقَ لي سوى خمسة أشهر حتى أصبح عشرينية. عشرون عامًا وأنا أجمع شتات نفسي، في كل سنة أجمع وردة، وها قد أصبح لدي عشرون وردة وسأجعلها باقة ورد. في أيامي القادمة، سأعتني بها وأسقيها بالحب والحنان كي لا تذبل. وإن ذبلت وسقطت، ستأتي السنة الثانية بوردة جديدة.

لؤلؤة الشريف"لؤلؤة الكون"

دار أحرفنا المنيرة
للنشر الإلكتروني